SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 1 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I1.1669

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

علاقة أحمد الشريف بمصطفى كمال أتاتورك (أغسطس سنة 1918م، أكتوبر 1924م)

سالم فرج عبد القادر السويدي

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا.

الملخص

يتناول هذا البحث جانباً مهماً من جوانب حياة المجاهد أحمد الشريف السنوسي- بعد خروجه من ليبيا متوجها إلى الدولة العثمانية التي مكث بها ست سنوات- ألا وهو علاقته بمصطفى كمال أتاتورك مؤسس دولة تركيا الحديثة والمراحل التي مرت بها هذه العلاقة .

وقد مرت هذه العلاقة خلال هذه الفترة بمرحلتين : الأولى: اتسمت بالمودة والصفاء . فعندما أعلن أتاتورك ثورته ضد السلطان العثماني كان مداوماً المراسلة مع أحمد الشريف الذي كان مقيماً في مدينة بروسه التركية، وكانت تلك الرسائل تدور حول استدرار عطف أحمد الشريف ، وطلب مناصرته له في ثورته .

أما المرحلة الثانية فقد شهدت تبدلاً جوهرياً عقب خلع السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية، وانتهت هذه المرحلة بمغادرة أحمد الشريف لتركيا .

الكلمات المفتاحية:

الشريف
العثمانية
اتاتورك
السنوسي
الخلافة
السلطان

Ahmed Al-Sharif's Relationship with Mustafa Kemal Ataturk (August 1918, October 1924)

Salem Faraj ALsuwaidi Mohamed

History Department, Faculty of Arts, Sebha University, Libya

A B S T R A C T

This research deals with an important aspect of the life of the fighter Ahmed Al-Sharif Al-Senussi. Specifically, the research discusses his life after his departure from Libya to the Ottoman Empire in which he lived for six years. It concentrates on his relationship with Mustafa Kemal Ataturk, the founder of the modern state of Turkey and the stages that this relationship went through.

This relationship has passed through two stages during this period: The first was characterized by affection and serenity. When Ataturk announced his revolution against the Ottoman Sultan, he was a constant correspondence with Ahmed Sharif, who was residing in the Turkish city of Prussa, and these messages were about reciting Ahmed Sharif's sympathy and requesting his support for him in his revolution. As for the second stage, it witnessed a fundamental change after the ouster of the Sultan and the abolition of the Islamic Caliphate. This stage ended with Ahmed Sharif's departure from Turkey

Keywords:

AL- Sharif
OTToman
Ataturk
AL-sanussi
Caliphate
Sultan

التعريف بالمجاهد أحمد الشريف

هو المجاهد أحمد بن محمد الشريف بن علي السنوسي ولد هذا المجاهد في مدينة الجغبوب يوم الأربعاء عام 1875م ، والدته كريمة عمران بن بركة ، وهي إحدى فضليات المدينة ، نشأ أحمد الشريف في بيت كريم ، فشب على غرار آبائه وأجداده ، وانكب من حداثة سنه على القراءة والدرس ثم حفظ القرآن الكريم وكان منذ بدء حياته عظيم الاحترام وشديد الاعتقاد والاقتداء باثنين : أولهما عمه السيد المهدي الذي كان لا يرى أحداً يجاريه في علمه وورعه وتقواه وأخلاقه السمحة النبيلة، وثانيهما أستاذه ومرشده السيد أحمد الريفي ، وكان هذا الأخير من أركان الطريقة السنوسية وأكابر علمائها (1).

وقد صقلته حياة الصحراء بقساوة ظروفها ، وكثرة أسفارها لتوليه مهام رحلات عديدة ولمسافات طويلة، فنشأ غني التجربة، واسع المعرفة بأمور الحياة، إلى جانب صدق الإيمان الناتج عن علم وفهم والمترجم بالفعل قبل القول ليس لا على الصعيد المحلي فحسب بل على الصعيد الإسلامي ، فقد عرف بأنه " البطل الإسلامي المرموق " واتسمت شخصيته بالصلابة والاستقامة في التعامل مع الآخرين (2).

وقد وصفه الأمير شكيب أرسلان بقوله :

" ... رأيت في الرجل حبراً جليلاً وسيداً ظريفاً ، وأستاذاً كبيراً ، وهو من أنبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي ، جلالة قدر ، وسراوة حال ، ورجاحة عقل ،

*Corresponding author:
E-mail addresses: sal.mohamed@sebhau.edu.ly

Article History : Received 26 April 2021 - Received in revised form 25 June 2021 - Accepted 30 June 2021

وسجاحة خلق ، وكرم مهزة ، وسرعة فهم ، وسداد رأي ، وقوة حافظة مع الوقار الذي لا تغض من جانبه الوداعة والورع الشديد من غير رياء ولا سمعة . سمعت أنه لا يرقد في الليل أكثر من ثلاث ساعات ويقضي سائر ليله في العبادة والتلاوة ، والتهجد ... وأكثر أحاديثه في قصص رجال الله وأحوالهم ورفقائهم وسير سلفه السيد محمد بن علي السنوسي ، والسيد المهدي ، وغيرهما من الأولياء والصالحين ، وإذا تكلم في العلوم قال قولاً سديداً ، سواء أكان في علم الظاهر أو الباطن ... سريع الخاطر ، سيال القلم ، لا يمل الكتابة أصلاً وله كتب منها كتاب كبير .. في تاريخ السادة السنوسية ، وأخبار الأعيان من مريدهم والمتصلين بهم ... "(3).

وقال عنه محمد أسد الدين " ما من رجل ضحّى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن غاية في سبيل مثل أعلى كما فعل أحمد الشريف . لقد أوقف حياته كلها ، عالماً ومحارباً على بعث المجتمع الإسلامي بعثاً روحياً ، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي، ذلك أنه كان يعرف جيداً أن الواحد لا يمكن أن يتحقق من دون الآخر "(4).

وقد صحبه عمه معه عند انتقاله من الجغبوب إلى الكفرة، وظل مقرباً منه، يرقب الأمور عن كثب ، ويزداد خبرة ومراناً ، وانتقل مع عمه إلى زاوية قرو بالسودان، واشترك معه في الجهاد ضد الفرنسيين في شمال تشاد ، وأسندت إليه مهمة الإشراف على نشاط المجاهدين و قيادتهم.

وقبل أن يتوفى عمه محمد المهدي في يونيو من العام 1902م في زاوية قرو؛ توسم في ابن أخيه القدرة على الاضطلاع بأعباء الإمارة ، والوصاية على الخليفة الشرعي محمد إدريس السنوسي ، عهد إليه بالأمر من بعده . وكان ولا شك اختياراً موفقاً صادف ارتياحاً وقبولاً عظيمين من جانب الجميع ، فلم تمض ثلاثة أسابيع على وفاة السيد المهدي حتى اجتمع كبار السنوسيين بالكفرة في 19 يونيو 1902م وتم اختياره زعيماً على الحركة السنوسية ، وكان أحمد الشريف بلغ الثلاثين عاماً من عمره حينها ، وأخذ يدير شؤون السودان بكل همة من واحة الكفرة التي ظلت مقر حكومة السنوسيين ومركز نشاطهم في عهده (5) .

توليه لزعامة الحركة السنوسية :

فمنذ توليه زعامة الحركة السنوسية أخذ على عاتقه مواصلة الجهاد ضد القوات الفرنسية في شمال تشاد حتى عام1911م العام الذي قامت فيه إيطاليا بغزو ليبيا حيث ترك الجميع الجهاد ضد القوات الفرنسية في شمال تشاد وتوجهوا إلى المناطق الساحلية لمواجهة الغازي الجديد .

ومنذ اللحظة الأولى التي وقع فيها الغزو الإيطالي قام أحمد الشريف بدعوة المجاهدين وجميع مشائخ القبائل إلى ضرورة حمل السلاح في وجه العدو الإيطالي ، واعتبر الركون إلى الاستسلام والخضوع وتسليم البلاد للعدو ما هو إلا تفريط في حق الأمة وانتهاك لحرمة الإسلام وتدنيس لكرامة الوطن . وقد عبّر عن غضبه ورفضه للاستسلام بقوله: " والله نحاربهم الطليان ولو لوحدي بعصاي هذه ... وإنني لا أتفاوض مع إيطاليا في بلادي ولا اتفق معها على تنازلي عن شبر واحد من البلاد ولا أحيد عن أحد الأمرين إما تحرير الوطن وإما الموت في سبيل ذلك ، وإنني أعاهد الله أن لا أتساهل مع إيطاليا في حق من حقوق أهل البلاد ولا أتنازل لها عن مقدار حافر حصاني ... " (6).

وكان لإعلان أحمد الشريف الجهاد ضد الإيطاليين أثر كبير في سير حركة المقاومة في المنطقة الشرقية ، فقد بث الحماس في قلوب المجاهدين من أبناء القبائل وأسهم في رفع معنوياتهم ، الأمر الذي جعلهم يتدفقون على معسكرات الجهاد بأعداد كبيرة . كما تميز موقفه خلال السنة الأولى من الغزو الإيطالي بتعاونه المطلق مع الضباط العثمانيين في منطقة درنة من أجل دعم الجبهة الوطنية ، وضمان استمرارية حركة الجهاد ضد الإيطاليين ، وتمثل ذلك التعاون في الاتصالات والمشاورات المباشرة التي كانت تجري بينه وبين أنور باشا التي انعكست في توجيهاته وإرشاداته المستمرة للمجاهدين (7).

الظروف التي أدت إلى رحيل أحمد الشريف إلى الدولة العثمانية:

التدخل الدولي في ليبيا:

أسهم الموقف الدولي مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914م في وضع حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي لليبيا في موقف صعب للغاية، وما أن دخلت الدولة العثمانية معترك الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد كل من انجلترا وفرنسا ، حتى بدأ الساسة العثمانيون يخططون للعودة إلى ليبيا مستغلين في ذلك مشاعر الرابطة الإسلامية ، مع عدم إغفال النية المبيتة لدى كل من الدولة العثمانية وألمانيا في اتخاذ ليبيا قاعدة متقدمة لتطويق القوات البريطانية في مصر، وفي هذا الصدد اختيرت منطقة امساعد منفذاً للعبور نحو مصر ، كما أن الدولة العثمانية وألمانيا قد بذلتا جهوداً كبيرة لأجل دفع قيادة حركة الجهاد الليبي للدخول في مهادنة مع القوات الإيطالية على الجبهة الشرقية ، وذلك لكسب ود إيطاليا وجعلها تقف على الحياد في مجريات الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم جر أحمد الشريف إلى صف التحالف العثماني الألماني لمهاجمة الإنجليز في مصر (8).

وبعد إطلاع أحمد الشريف على المخطط العثماني الألماني ، رفض من حيث المبدأ فكرة الهجوم على القوات البريطانية في مصر رفضاً قاطعاً ، لأن مصر كانت تشكل الشريان الرئيس المغذي لحركة الجهاد في المنطقة الشرقية ، وليس حرصاً على صداقة الإنجليز كما يدّعي بعض المحللين(9).

مشاركة أحمد الشريف في الحملة العسكرية على الإنجليز في مصر:

اشترك أحمد الشريف في الهجوم على القوات البريطانية في مصر على الرغم من أنه كان يعارض هذا الهجوم بشكل قاطع ، وقد دارت العديد من المعارك(10) بين الطرفين لا يسع المجال لذكرها ، غير أنه يمكن القول إن نتائجها كانت في الغالب لصالح القوات البريطانية حيث أخذت الهزائم تتلاحق على قوات المجاهدين ، فبعد معركة (بئر بوتونس) يناير 1916م عقد أحمد الشريف اجتماعًا في خيمته حضره نوري باشا وجعفر العسكري ومحمد صالح حرب ، وقد انحى فيه باللائمة على نوري باشا وجعفر العسكري اللذين تسرعا في بدأ العمليات العسكرية بالرغم من عدم استكمال الاستعدادات اللازمة لها ، وخاطبهما قائلاً : " ... لقد قفلتم أنوفنا فمن أين نتنفس ... فما رأيكم وقد أوصلتمونا إلى هذا الحال ... وظهر أنني كنت على هدى وكنتم على ضلال ... "(11).

وقد اتضح من خلال نتائج المعارك الأولى التي دارت بين الطرفين ؛ أن قوات المجاهدين كان ينقصها كثير من العتاد والذخيرة والسلاح المتقدم والمتطور، وكذلك من المؤن والاحتياجات العامة الضرورية كالدواء واللباس ، وتأثرت بقية المعارك ونتائجها تبعًا لذلك ، فأخذ المجاهدون في الانسحاب والتقهقر من أمام القوات البريطانية التي تمكنت من صد الهجوم العثماني الألماني عليها ، وانتصرت في أغلب المعارك ، وأمام هذه التطورات اضطر أحمد الشريف بمن معه من القوات إلى الانسحاب إلى الواحات المصرية ومنها إلى واحة الجغبوب داخل الأراضي الليبية(12) .

وقد تركت مشاركة أحمد الشريف في هذه الحملة بعد فشلها آثاراً بالغة الخطورة على حركة الجهاد فقد توقف القتال ضد الإيطاليين في المنطقة الشرقية فترة طويلة من الزمن (1916 - 1923م) فضاعت بذلك فرصة مواصلة القتال ضد الغزاة الإيطاليين وتحرير البلاد منهم خصوصاً وأنهم كانوا مشغولين بمعارك الحرب العالمية الأولى في أوروبا وقواتهم في ليبيا محاصرة في المدن الساحلية.

كما قفلت الحدود المصرية الليبية التي كانت تمثل الشريان الرئيس المغذي لحركة الجهاد مما أضطر أحمد الشريف إلى تسليم القيادة إلى محمد إدريس السنوسي(13)، وبعد أن كانت قيادة المجاهدين صلبة قوية لا تلين تطالب بشئ واحد فقط هو تحرير الأرض والوطن، وإجلاء الغاصبين، ولا تقبل في ذلك صلحاً أو مهادنة إلا على هذا الأساس؛ تغيرت الأوضاع واضطرت القيادة الجديدة المتمثلة في محمد إدريس السنوسي إلى الصلح والمهادنة، بل وإلى أبعد من ذلك وهو الاعتراف بشكل أو بآخر بالاحتلال الإيطالي لليبيا(14).

وفي النهاية يمكن القول إن حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر كانت كسباً ونفعاً كبيرين للإيطاليين؛ لأنها حطمت عزيمة المجاهدين في المقاومة، وزعزعت قيادة أحمد الشريف وأظهرت ضعف إمكانياتها الحربية وقدرتها القتالية، ومهدت السبيل بالتالي لظهور أنصار الصلح والتفاوض الذين قادهم محمد إدريس السنوسي على ذلك الدرب(15).

حصار أحمد الشريف في المنطقة الوسطى

بعد توليه لقيادة حركة الجهاد قام محمد إدريس السنوسي بتوجيه خطاب إلى أحمد الشريف إثر فشل الحملة العسكرية على القوات البريطانية في مصر، وانسحابه إلى واحة الجغبوب . مضمونه إنه جاءه إنذار من الإنجليز يقول إذا لم يغادر أحمد الشريف ومحمد صالح حرب بقواتهم واحة الجغبوب في خلال أيام محدودة فإنهم سيقومون بتدمير الواحة وتحطيم مقام السيد محمد علي السنوسي الموجود بها (16) وقد خشي أحمد الشريف أن ينفذ الإنجليز تهديدهم فقرر مغادرة واحة الجغبوب إلى واحتي جالو ، أوجله ومنها إلى مرادة الواقعة في الصحراء غربي جالو ، ومنها إلى زلة ثم توجه إلى منطقة ودان التي وصلها في 6 يوليو 1917م(17). وفي أواخر سنه 1917م رحل مع أتباعه إلى منطقة سلطان بخليج سرت ومنها إلى منطقة العقيلة ، والتي أصبح فيها محاصراً لا يملك سوي نسخة من المرسوم السلطاني القاضي بتعيينه حاكماً على ليبيا وأدرك أحمد الشريف بعد فوات الأوان ، أن ذلك المرسوم لن ينقذه وجيشه من الهلاك المحقق بعد أن أصبح محاصراً في منطقة سلطان شرقي سرت(18).

وقد عبر أحمد الشريف خير تعبير عن هذا الموقف فيما بعد في خطاب بعث به إلى الشيخ عمر المختار واصفاً فيه الوضع الذي آلت إليه قواته بعد أن أصبح بين نارين على حد قوله: ومما جاء في الخطاب: " ... إنني والله ثم والله مهتم بكم وبالوطن أكثر من اهتمامي بنفسي وأهلي ... أما خروجي من الوطن وسفري إلى بلاد الترك ، والله ما سافرت إلا جبراً عليّ واضطراري فيما كنت فيه ، حيث كنت في العقيلة ما بين نارين غربية وشرقية ، النار الغربية نار رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير ومن تبعهم والنار الشرقية ، نار إدريس السنوسي الذي اتفق مع الطليان والإنجليز وقاطعوني ومنعوني من دخول برقة والجبل الأخضر "(19).

بعد عودته وجد أحمد الشريف أن البلاد قد تعرضت لظروف طبيعية وصحية قاسية كما لاحظ تطوراً خطيراً في الأحداث السياسية حيث قام محمد إدريس السنوسي بعقد اتفاقيات مع الإيطاليين والإنجليز في برقة(20) منع بموجبها أحمد الشريف من التوجه إلى المنطقة الشرقية فآثر أن يتوجه بقواته إلى الغرب سالكاً طريق الواحات الجنوبية حتى وصل إلى منطقة سرت واستقر به المقام في منطقة سلطان شرق سرت (21) ، وبسبب الحصار الذي فرض عليه وصل أحمد الشريف وأتباعه إلى درجه من الاحتياج لا مثيل لها ، فقد كان يمر اليوم بكامله دون أن يقتات الواحد منهم أي شئ مما تسبب في أن تساقط العشرات منهم بسبب الجوع والمرض(22)؛ مما دفع محمد صالح حرب إلى أن يرسل أحد ضباطه ويدعى عبد القادر طراف يرافقه خمسة وعشرون رجلاً إلى نوري باشا في مصراتة لكي يأتوا بالإعانة التي وعد بها الأخير ؛ إثر وصول الدكتور دسوقي برسالة محمد صالح حرب إليه(22).

وفعلاً قام نوري باشا بإعداد قافلة تشمل أسلحة ومالاً وأرزاقاً ، إضافة إلى ما اشتراه الضباط المبعوثون من أمتعة وملابس واحتياجات عامة ، ولم يعلم نوري باشا رمضان السويحلي بأمر القافلة المتجهة إلى أحمد الشريف . إلا أن رمضان السويحلي عندما علم بأمرها دبر أمر القضاء عليها ، واغتصاب أرزاقها ، وقتل أفرادها عن طريق إعداد خطة رهيبة نفذت بواسطة قائد شرطته المدعو محمد الحداد ، الذي قام بتجهيز قوة من مائة رجل مسلح ، وجعل عليها رئيسين ، أحدهما يدعى محمد سليمان الجطلاوي ، والثاني عبد العزيز الدنيخ ، وأمر تلك القوة أن تجدّ في السير لتكمن للقافلة في وادي زمزم ، وقد نفذت هذه الخطة بدقة ، واستطاعت هذه القوة من القضاء على القافلة ، والعودة إلى رمضان السويحلي بصناديق النقود والأسلحة والمؤن(23).

وبعد أن وصل نبأ ما حلّ بالقافلة كاد الأمر يفلت من يدي محمد صالح حرب ، لأن المجاهدين أصروا على مهاجمة مصراتة اقتصاصاً من رمضان السويحلي وفعلته الشنيعة ولو أدى هذا العمل إلى هلاكهم جميعاً . إلا أن أحمد الشريف استطاع بفضل ما كان يتمتع به من نفوذ عظيم من تهدئتهم (24).

وقد تعرض رمضان السويحلي للنقد من بعض رجاله المخلصين بسبب تجاهله لماضي أحمد الشريف في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي والإيطالي والبريطاني ، وفي عدم مبالاته بالظروف الصعبة التي كان يمر بها ، وحاجته الماسة إلى هذه المساعدات(25) .

كما كان لهذه العملية أثرها السيئ في نفس نوري باشا الذي تأثر كثيراً لذلك ، ولم يكن في استطاعته القيام بأي عمل مضاد تجاهها ، وكان من نتائجها ظهور الخلاف الواضح بينه وبين رمضان السويحلي ، فقد احتج نوري باشا على هذه العملية بكل قوة لدى رمضان السويحلي الذي قام بالتظاهر بإدانته لهذا العمل ، وبعدم قبوله لمثل هذا التصرف كي لا يتهم بالمسؤولية المباشرة عما حصل لتلك القافلة .

ومن جهته قام نوري باشا على الفور بتجهيز قافلة أخرى تمكنت هذه المرة من الوصول إلى أحمد الشريف ، وعلى إثرها أرسل الأخير خطاباً إلى نوري باشا موضحاً فيه أنه في حال انتقاله إلى طرابلس بصفته ممثلاً للسلطان العثماني ليقوم شخصياً بقيادة العمليات الحربية ضد الإيطاليين ، فإنه لم يعد قادراً والحال هذه على القيام بتلك المهام على نحو مشرف طالما استمر نوري باشا في علاقته برمضان السويحلي ، ولو استمر الحال على ذلك النحو فسوف يسقط من اهتماماته طرابلس الغرب عامةً ، وينسحب إلى واحة الكفرة (26).

فشل مساعي الصلح بين رمضان السويحلي وأحمد الشريف

ما أن تلقى نوري باشا رسالة أحمد الشريف حتى دعا إلى اجتماع بمدينة مصراته حضره رمضان السويحلي وآخرون ، وبعد أن أثنى نوري باشا في الاجتماع على شخص رمضان السويحلي باعتباره مقاتلاً وشجاعاً وقائداً كبيراً ، ذكره بواجب الامتثال لأوامر السلطان العثماني ، والعمل على طاعته وهو ما يعني أن تكون ولاية طرابلس الغرب لأحمد الشريف ، إلا أن رمضان السويحلي رد عليه قائلاً أنه لا يستطيع الاعتراف بشخص من الحركة السنوسية كممثل للسلطان العثماني في المنطقة الغربية ، وبالأخص إذا كان هذا الممثل من خارج طرابلس نفسها(27).

غضب نوري باشا من رد رمضان السويحلي وهدد بترك ليبيا ، محملاً إياه ما سيترتب على ذلك من نتائج ، وهكذا فشل نوري باشا في توحيد الجبهة الغربية ضد القوات الإيطالية ، وغادر متوجهاً إلى اسطنبول في أوائل شهر يناير من العام 1918م(28).

وقبل مغادرته قام نوري باشا بتكليف اليوزباشي أركان حرب (محمد نشأت) ليتولى قيادة جبهة مصراته ، وفي الوقت نفسه وصل الضابط (إسحاق باشا) إلى طرابلس كبديل لنوري باشا ، حيث اتخذ من الزاوية الغربية مقراً لقيادته ، وسرعان ما اختلف هو الأخر مع رمضان السويحلي وكاد يصل الخلاف بينهما إلى اشتباك مسلح ، غير أن وصول الأمير عثمان فؤاد(29) قد أنقذ الموقف .

حاول الأمير عثمان فؤاد تسوية الخلافات بين رمضان السويحلي وأحمد الشريف ، إلا أن الأول عارض في ذلك ، واستمر على نفس موقفه السابق من نوري باشا ، وترتب على ذلك أن فشلت مساعي الأمير عثمان فؤاد في تسوية الخلافات والذي قفل عائداً إلى مدينة مصراته(30).

مغادرة أحمد الشريف لليبيا .

بعد رفض رمضان السويحلي كل المساعي الرامية لتسوية الخلافات وتوحيد الجبهة الوطنية تحت قيادة أحمد الشريف قرر الأخير إرسال قائده محمد صالح حرب إلى الأمير عثمان فؤاد في منطقة مصراتة ، وحمّله رسالة تتضمن طلباً بأن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى اسطنبول ليقابل أنور باشا وزير الحربية ، وليبحث معه تطورات الموقف في ليبيا(31).

نقل الأمير عثمان فؤاد رغبة أحمد الشريف بزيارة العاصمة اسطنبول إلى أنور باشا، فما كان من الأخير إلا أن سارع بتلبية الطلب، وفيما يبدوا كان ظاهر هذه الدعوة أن ينال أحمد الشريف باعتباره بطل إسلامي مرموق شرف تقليد (سيف عثمان) للسلطان محمد وحيد الدين (1861م . 1926م) كخليفة للمسلمين ، أما باطن هذه الدعوة .كما أراد لها أنور باشا . هو تسخير المكانة الدينية لأحمد الشريف في تهدئة روح الثورة التي قادها الشريف حسين في الحجاز وسوريا منذ عام 1916م من جهة ، وليلعب دور المفاوض مع الشريف حسين باسم الدولة العثمانية من جهة أخرى ، وفي أوائل أغسطس سنة 1918م ، حمل كل من يوسف بن شتوان(32) ، وحسام الدين بك الدعوة الرسمية الصادرة من السلطان العثماني والتي يدعو فيها أحمد الشريف لزيارة اسطنبول . وتلبية لهذه الدعوة شكل أحمد الشريف وفداً رفيع المستوى ليكون في معيته أثناء سفره إلى اسطنبول ، ويضم كل من : صالح محمد بوعرقوب ، والدكتور المسلاتي وعبد السلام بو قشاطة العربيين ، والشيخ محمد عبد الله الميمون الزاوي شيخ زاوية سيرة ، وعبد السلام حسين السوداني ، والسنوسي عبد السلام الجريدي ، ومحمد صالح حرب(33).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد، إن اهتمام الدولة العثمانية بأحمد الشريف كانت له مبرراته ودوافعه ، لا سيما فيما يتعلق بمكانته المرموقة وصيته الذائع في عموم العالم الإسلامي ، الأمر الذي من شأنه أن يكسب العثمانيين وسياستهم تعزيزاً وإسناداً قوياً ، خاصة وأن الخليفة الجديد السلطان محمد وحيد الدين قد ارتقى إلى العرش منتصف عام 1918م ، وجابهته في مستهل حكمه مشاكل وعقبات جسام ، أهمها أن الدولة العثمانية قد خرجت للتو منهزمة في الحرب العالمية الأولى ، وأنها فقدت ما تبقى من مناطق نفوذ في آسيا وأوروبا ، والأنكى من ذلك كله أن الأراضي الواقعة في قلب الدولة العثمانية قد وقعت هي الأخرى تحت سيطرة قوات الاحتلال الأجنبي بما في ذلك العاصمة اسطنبول ، ومن هذا المنطلق فإن السلطان محمد وحيد الدين لمس في وجود أحمد الشريف إلى جانبه ما يعزز عرشه ويضفي على حكمه صبغة من الشرعية ، وهذا بحد ذاته يكمن وراء الاهتمام الكبير بشخص أحمد الشريف(34) .

أناب أحمد الشريف على المجاهدين من بعده أحمد بن محمد بن أحمد الريفي، وأمره بالانضمام إلى قوات المجاهدين في مصراتة(35).

وصول أحمد الشريف إلى حاضرة الدولة العثمانية .

غادر أحمد الشريف إلى الدولة العثمانية في النصف الأول من شهر أغسطس سنة 1918م، وبعد أسبوع وصل إلى ميناء بولا بالساحل النمساوي، ومنه إلى فيينا عاصمة النمسا رفقة حاشيته ، وهناك أرسل إليه الإمبراطور النمساوي يريد مقابلته، ولكن يوسف بن شتوان رفض الطلب من دون إعلام أحمد الشريف، مما أحدث استياءً بالغاً في نفس أحمد الشريف الذي ذكر أنه كان من اللائق الاجتماع بالإمبراطور لا سيما أنه هو الذي طلب المقابلة ، وتابع أحمد الشريف رحلته إلى عاصمة الدولة العثمانية عن طريق القطار ، والتي وصلها في 31 أغسطس 1918م ، حيث استقبل استقبالاً حافلاً ورسمياً في محطة سركة جي، تدعيماً لموقفه وتشجيعاً لقادة الحركات الإسلامية آنذاك.

كان في مقدمة مستقبليه كبار رجال الحكومة العثمانية ، يتقدمهم صديقه أنور باشا وزير الحربية العثمانية ، كما حضره أيضاً إبراهيم بك ، وإحسان بك كاتب الديوان السلطاني، وفؤاد بك مدير التشريفات ، وعلي رضا شيخ الإسلام ، وأمين الفتوى ، وأنزل بسراي طوب قبو ، التي كانت مقر الخلفاء من آل عثمان ، وفي اليوم الثاني خصصت له مقابلة رسمية مع السلطان العثماني محمد وحيد الدين، الذي منحه وسام النيشان المجيدي من الرتبة الخامسة(36).

وعلى الرغم من بعد أحمد الشريف عن ميادين الجهاد في ليبيا إلا أنه واصل جهوده من أجل تحرير الوطن ، فقد كانت له نشاطات على ذلك

الدرب منها : تحريض العثمانيين على إيلاء القضية الليبية الأهمية القصوى ، حتى أنه نجح في إقناع عزت باشا رئيس الوزراء آنذاك في أكتوبر 1918م أن يسمح له بالسفر خفية إلى طرابلس بعد تزويده بالمعدات والسلاح والأموال ، إلا أن اتفاق هدنة الحرب العالمية الأولى حال دون إنجاح هذه المهمة(37).

علاقة أحمد الشريف بمصطفى كمال أتاتورك .

المرحلة الأولى:

في بداية الحديث عن هذه المرحلة لابد لنا من التعريف بمصطفى كمال أتاتورك، ولد في 12 مارس سنة 1881م في مدينة سالونيك اليونانية، وكانت تابعة للدولة العثمانية والده علي رضا مسؤول جمارك تحول إلى تاجر أخشاب وتوفى عندما كان مصطفى لا يزال صبياً والدته زبيدة سيدة قوية الإرادة صابرة كرست نفسها لتنشئته مع أخته دخل مدرسة دينية تقليدية ومن ثم تحول إلى الدراسة الحديثة وفي عام 1893م دخل المدرسة العسكرية العليا حيث منحه مدرس الرياضيات الاسم الثاني كمال (ويعني الكمال) إقراراً بإنجازات مصطفى المتفوقة بعدها عرف باسم مصطفى كمال ، وفي عام 1905م تخرج من الكلية العسكرية في اسطنبول برتبة نقيب أركان حرب ورقي في عام 1916 إلى رتبة عقيد وعمره 35 عاماً لتفانيه وبطولاته في خدمة الإمبراطورية العثمانية وفي عام 1922م اجتمع المجلس الوطني حيث أعطى مصطفى كمال لقب رئيس الأركان برتبة مارشال وفي 3 مارس 1924م ألغى مصطفى كمال الخلافة العثمانية ، وطرد الخليفة من البلاد ، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية ، وحول المدارس الدينية إلى مدنية ، وأعلن أن تركيا دولة علمانية وأغلق كثيراً من المساجد ، وحول مسجد آيا صوفيا الشهير إلى متحف ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستخدم اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية ، وفي عام 1934م أعطاه البرلمان اسم أتاتورك (أبو الأتراك) ، وأصبح مصطفى كمال في السنة التالية رئيساً للجمهورية التركية ، كما أنه كان رئيساً للحزب الوطني التركي ، وهو يعد مؤسس دولة تركيا الحديثة، وتوفي 10 نوفمبر سنة 1938م بعد مرض استمر عدة اشهر(38) .

فرضت نتائج الحرب العالمية الأولى(39) مراقبة على حركة أحمد الشريف ، وخاصة عندما شهدت الدولة العثمانية بوادر انقسام بين السلطان العثماني في اسطنبول وأنور باشا في القوقاز ، ومصطفى كمال أتاتورك في الأناضول ، فقد حاول كل منهم اجتذاب أحمد الشريف إلى جانبه باعتباره زعيماً دينياً موثوقاً ، وباعتبار أن من يؤيده يكسب شرعية دينية لدى عامة الشعب ، لاسيما وأن ولاة العثمانيين قد اعتادوا الوقوف على بابه وطلب مرضاته، ومع أن أحمد الشريف اتخذ موقف الحياد إزاء القوى الثلاث المتصارعة ، إلا أنه كثيراً ما كان يردد بأن أنور باشا كان متمسكاً بالإسلام ، يغار عليه في أية بقعة ولا يفرق بين عربي وعثماني وهندي ، وقد عرض أنور باشا على أحمد الشريف العودة إلى برقة مزوداً (20.000) بعشرين ألف مسلح إذا نجح في حسم الصراع لصالحه ، وهذا غاية ما يتمناه أحمد الشريف (40).

وعلى ما يبدو أن هذا الأمر يعد أكثر حيوية لمصطفى كمال الذي كان يضرب في تلك الآونة على وتر الجامعة الإسلامية ، واتخذ من الدين أداة لحشد الأنصار في الأناضول وخارجها ، وكما وضحت ذلك خطبه وبياناته التي كانت تحمل كثيراً من المعاني الدينية ، وبدت بعض عباراتها مفعمة بورع لا ريب فيه(41).

إلا أن أحمد الشريف ناصر مصطفى كمال أتاتورك خاصةً بعد أن أقنعه الأخير بأنه جاد في إعادة الهيبة للخلافة الإسلامية إلى سابق عهدها ، وقد كانت غاية مصطفى كمال أتاتورك من استقطاب أحمد الشريف إلى جانبه هي تعزيز مكانته في نظر شعوب الإمبراطورية العثمانية ؛ التي كانت تساورها الشكوك إزاء التغيرات السياسية المتلاحقة التي نجمت عن الانقلاب الذي قام به جماعة الاتحاد والترقي سنة 1908م (42)، وربما يتساءل المرء: لماذا ناصر أحمد الشريف مصطفى كمال أتاتورك ، وتخلي عن السلطان العثماني محمد وحيد الدين ؟ لعل الجواب عن هذا التساؤل يكمن في أن أحمد الشريف مع أنه كان أمام زعامتين تمسحت كلتيهما بمسوح الإسلام ، وادعتا التمسك بخصاله وتعاليمه ، إلا انه في مسألة الوطنية أو مقاومة العدو الأجنبي الكافر لم يكن أمام أحمد الشريف إلا أن ينضم إلى جانب مصطفى كمال أتاتورك(43).

مرت العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك في هذه الفترة بمرحلتين : الأولى: اتسمت بالمودة والصفاء . فعندما أعلن أتاتورك ثورته ضد السلطان العثماني كان مداوماً المراسلة مع أحمد الشريف الذي كان مقيماً في بروسه ، وكانت تلك الرسائل تدور حول استدرار عطف أحمد الشريف ، وطلب مناصرته له في ثورته ضد السلطان العثماني ، ففي سنة 1918م تمكن مصطفى كمال أتاتورك من تحقيق انتصارات مرموقة ضد الحلفاء والقوات اليونانية الغازية للدولة العثمانية .

وبذلك أدرك أتاتورك أن حركته قد تركت أثراً لدى أحمد الشريف ، ومن ثم أراد استغلال هذا الشعور بهدف تحقيق أمرين اثنين هما:

الأول : إن تأييد أحمد الشريف كشخصية إسلامية لها شأنها سوف يعطي حركته وزناً ، ويضفي عليها شرعية بين شعوب الإمبراطورية الإسلامية .

الثاني : عزل أحمد الشريف عن دائرة نفوذ أنور باشا صهر السلطان العثماني وخصم أتاتورك التقليدي ، عندما كانا ضابطين يجاهدان مع أحمد الشريف في برقة(44).

وبرغم التحذيرات التي أعلنها السلطان العثماني لأحمد الشريف عن حقيقة أتاتورك ، وأن لا يغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها من أجل الوصول إلى غايته ، وظهرت هذه التحذيرات واضحة في الرسالة التي بعثها السلطان العثماني عن طريق صهره خالد درويش إلى أحمد الشريف يحذره من مصطفى كمال أتاتورك وقد جاء فيها : " يا مولانا يا خادم الإسلام ، يا فرع الدوحة النبوية ، إياك أن تغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها مصطفى كمال للوصول إلى غايته فإنني ربيته في بيتي وبين عائلتي، وعرفت ظاهر أمره وباطنه ما في قلبه ذرة من إيمان أو خوف من الله أو مبالاة بما يعمله ، ودينه هواه ، ولو تمكن لأضر بالإسلام والمسلمين" (45)فإن أحمد الشريف لم يبال بما سمع عن أتاتورك ، بل قرر أن ينتقل من بروسه إلى اسكي شهر التي استقبله فيها عصمت باشا الذي أصبح رئيساً للوزارة العثمانية فيما بعد ، وتمادى في تأييده للثورة الكمالية ، وأسهم مساهمة كبيرة بتجواله بين مختلف طبقات الشعب الذين رحبوا بمقدمه ، فكان يخطب فيهم داعياً إياهم إلى مساندة الحركة الكمالية ورفع عصا الثورة ضد الحلفاء الغزاة .

ولما انتقل أحمد الشريف إلى أنقره في 5 أكتوبر 1920م استقبله أتاتورك في محطة السكة الحديد برفقة أعضاء مجلسه الثوري كافة وتحادث معه في أمور كثيرة تهم العالم الإسلامي ومستقبل الأمة الإسلامية وكان من

جملة ما على رأس الموضوعات التي ناقشها مع أحمد الشريف هو مستقبل الخلافة الإسلامية كنظام ، عارضاً عليه منصب نيابة الخلافة ، وذكر أتاتورك بالحرف الواحد أن حكومته الجديدة استكملت كل المناصب الوزارية ولم يبق شاغراً سوى منصب الخلافة قائلاً : " إن مقام نيابة الخليفة لم نجد له من يليق به إلا سيادتكم ، ونرجو أن تتموا لنا هذا النقص في جهازنا ولكم علينا ميثاق الله وعهده أننا سنقوم بكل ما يترتب علينا نحو هذا المقام " . (46) وفي معرض حديثه عن واجب الجهاد المقدس أردف أتاتورك قائلاً: " وفي الحقيقة ما تعلمته من الدروس المفيدة : يعني الجهاد ولا تسربت في جسمي هذه الروح الأبية إلا في مدرستكم التي أسستموها لنا في برقة المجاهدة ، وها أنتم اليوم تؤسسونها عندنا من جديد ... وأنت الأب وأنا الابن وكل ما تراه صالحاً مرنا به ونحن على أتم الاستعداد للتنفيذ وفي أتباعنا لكم شرف لنا " (47).

تمثل هذه الفترة أوج الصداقة الحميمة بين أتاتورك وأحمد الشريف . ففي إبريل سنة 1921م رشحه (مؤتمر انغورا) بدعم من الكماليين ملكاً على العراق ، لكن الإنجليز كانوا سباقين فنصبوا فيصل بن الحسين ملكاً على العراق .(48) وفي الوقت الذي اشتعلت فيه ثورة طوبال عثمان الأعرج ؛ قام الأكراد في ديار بكر بثورة ضد حكومة أتاتورك وعندما كانت القوات الكمالية منشغلة في تهدئة ثورة طوبال عثمان الأعرج توجه أحمد الشريف بتكليف أتاتورك إلى الأكراد في ديار بكر ، وهدأ من روعهم وأقنعهم باسم الإسلام أن الحكومة الكمالية ما قامت إلا من أجل إسعاد المسلمين كافة ، وطرد الأعداء الكفار المتربصين لهدم دولة الإسلام وشعائرهم ، وكان من نتيجة ذلك أن تقدم الأكراد بمضبطة تحمل توقيع (1500) ألف وخمسمائة شيخ مؤكدين فيها قبول وساطة أحمد الشريف بعدم الانفصال عن دولة أتاتورك الفتية(49).

غير أن هذه المضبطة أو العريضة كانت مذيلة بشرط أن تقام ولاية كردية يتولى رئاستها أحمد الشريف نفسه ، ولكن أحمد الشريف أوضح موقفه من العريضة بحسب ما نقل عن كاتبه ، إذ قال في هذا الصدد: " إنني مجمع ولست بمفرق ، ومصلح ولست بمفسد ، كيف أرضى بشيء لم أرضه لكم وهذا معناه كسر شوكة الإسلام ، ومساعدة العدو المتكالب على ابتلاع دين الإسلام، ولا وراء هذه الآمال من نتيجة تنفعكم ونصيحتي لكم ورضائي عنكم في قبول وساطتي وإكرام وفادتي ببقائكم على العهد الذي قطعتموه سابقاً لحكومة مصطفى كمال أتاتورك ، ومناصرتكم لها وإبعاد المفسدين الذين يزينون لكم هذه الأماني الخلابة المضرة "(50).

وانتهت وفادته بقبول الأكراد الانصياع للحكومة الكمالية ، وبينما كان أحمد الشريف يتنقل بين سوريا والعراق مهدئاً المتذمرين من الحكومة الكمالية من عرب وأكراد اشتد الهجوم اليوناني على أنقرة ، وطبقاً لرواية الشيخ عبدالملك فقد كان أحمد الشريف مهتماً أشد الاهتمام بهذا الأمر خاصة بعد تسلمه برقيات متعددة من أتاتورك يشكو فيها من ضراوة الهجوم اليوناني . ففي إحدى هذه البرقيات يناشد أتاتورك أحمد الشريف قائلاً : " اضرعوا إلى الله أن يدركنا بعنايته " . وفي هذا الصدد يدون لنا كاتب أحمد الشريف أنه لم ير البتة كذاك الامتعاض الذي ظهر على أحمد الشريف في تلك الأيام ، لأن العالم الإسلامي كان نهباً منهوباً ، وكان يؤمل في انتعاشه إذا ما قامت الحكومة الكمالية على قدميها ، وكان رد أحمد الشريف على برقية أتاتورك يقول: " ثق من الله بالنصر يأتيك الغوث أن شاء الله تعالى " (51).

ثم انتدب إليه على وجه السرعة وفداً برئاسة المجاهد الليبي محمد بن عبدالله المهوب الزوي وحاملاً معه مصحفاً وسيفاً وبرنوساً خاصاً بأحمد الشريف ، وخطاباً يقول فيه لأتاتورك ما يلي: " بعثت إليك بمصحف الأمان وسيف النصر وكسوة الغزو والفوز إن شاء الله " (52).

ويصف الشيخ محمد بن عبدالله المهوب الزوي أنه لما وفد إلى مصطفى كمال أتاتورك وهو منشغل في تعبئة جيوشه للهجوم المضاد على اليونانيين وهو على نهر صقاريا استقبله بحفاوة منقطعة النظير برغم انشغاله بالأعداد لذلك الهجوم ، ولما سلّم الشيخ المهوب الهدايا لأتاتورك ، قام الأخير على الفور وارتدى البرنوس وامتشق السيف ، وعلّق المصحف الشريف تبركاً به ، ثم تقدّم وصلى ركعتين في الحال بحضور أركان حربه عصمت باشا وفوزي باشا والشيخ المهوب نفسه ، وأعلن عن بداية هجومه الشهير على اليونانيين الذي كلل بالنصر المبين ، وينقل لنا الشيخ المهوب انطباعات أتاتورك فيصفه أنه كان في غاية السرور بعد أن تحقق له تهدئة الأكراد على يد أحمد الشريف ، وانتصاره الساحق ضد اليونانيين الذي بشره به أيضاً ، وفي أوائل سنة 1922م عاد أحمد الشريف من ديار بكر متجهاً إلى أزمير التي حررها أتاتورك من اليونانيين هي وجميع أراضي الدولة العثمانية من السيطرة اليونانية وأقيمت بمناسبة هذه الانتصارات الباهرة احتفالات كبرى .

وفي أنقرة وفد أحمد الشريف إلى صديقه أتاتورك مهنئاً باحتفالات النصر ، وأقام عنده ضيفاً لمدة أسبوعين كاملين ، ثم عاد إلى طرسوس ، وبينما كان أحمد الشريف يقيم هناك قام أتاتورك بجولة تفتيشية من منطقة الأناضول ، وعرج على ولاية أضنة وجاء خصيصاً لزيارة أحمد الشريف الذي احتفى بمقدم صديقه وزعيم تركيا المرتقب الذي أصبحت ترنو إليه الأبصار ، وأقيمت حفلة كبيرة على شرف أتاتورك حضرها قادة كثيرون ، وبينما كان الجميع يلتمسون الجلوس إلى مقاعدهم على المائدة التي أعدها أحمد الشريف وقف أتاتورك وألقى خاطباً باللغة التركية موجهاً حديثه لقادته العسكريين الحاضرين قائلاً : " أيها الإخوان اسمحوا لي أن أعرفكم بمن نحن في حضرته وعلى مائدته ، نحن في حضرة فخر المسلمين وحفيد سيد المرسلين ، المجاهد أحمد الشريف السنوسي ، معلمنا الأول ومؤسس أول مدرسة في برقة كنا وفدنا إليها ، وتلقينا دروس الجهاد والمقاومة والدفاع عن النفس والدين والوطن بها ، ويشير مصطفى كمال أتاتورك بإصبعه السبابة إلى أحمد الشريف الجالس أمامه قائلاً : هذا هو الذي غرس في نفوسنا شجرة الدفاع الثابتة وهو الذي آزرنا في محنتنا القاسية وشجعنا بأفكاره وآرائه الصائبة حتى نلنا شرفنا وعزتنا ، وأنقذ من براثن الأعداء بلادنا فله مني ومن الحكومة العلية والشعب التركي كمال الشكر والتقدير " (53).

ثم رد عليه أحمد الشريف قائلاً وهو جالس : " الشكر لله وحده هو الذي أيدكم ونصركم ومزق أعداءكم بسبب جدكم واجتهادكم وتوحيد صفوفكم ونرجو من الله مزيد من التوفيق "(54). - محاولة إرسال وفد من الليبيين لمؤتمر الصلح:

في أثناء إقامة أحمد الشريف في بروسه قام بتكليف وفد من زعماء الليبيين برئاسة بشير السعداوي (55) للذهاب إلى باريس والمطالبة بحقوق الليبيين أمام مؤتمر الصلح ، كما أمر بشير السعداوي بأن يعرض هذا الموضوع على الحكومة العثمانية في اسطنبول قبل سفره إلى باريس ، وحمله رسائل توصية لأصدقائه من رجال الدولة المسؤلين ، وفي هذا الشأن كتب

أحمد الشريف إلى كل من ولي العهد عبدالمجيد أفندي وخالد باشا درويش ، الذي كان على علاقة طيبة بأحمد الشريف كما أن والده إبراهيم درويش باشا ، احتفظ بعلاقات مميزة مع السيد محمد المهدي السنوسي على أيام السلطان عبدالحميد .

وصل بشير السعداوي إلى اسطنبول . بالرغم من الحفاوة التي استقبله بها خالد درويش والذي صحبه لمقابلة ولي العهد عبدالمجيد أفندي وتقديمه له ووعد الأخير بأن يتحدث في موضوع طرابلس الغرب مع الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) توفيق باشا إلا أن الحكومة العثمانية تلكأت في وعودها، وهذا ما جعل بشير السعداوي يتردد بين بروسه واسطنبول العاصمة من أجل إقناع رجال الدولة العثمانية بوجوب إثارة القضية الليبية في مؤتمر الصلح ، وتسنى له أثناء ذلك أن يقابل عدداً من المسؤلين ، وكبار رجال الحكومة التركية أمثال وزير العدل عارف حكمت باشا ، ووزير الداخلية فريد باشا وجلال باشا وغيرهم من الوزراء الآخرين، ولكن بشير السعداوي في نهاية المطاف فشل في إقناع الحكومة العثمانية بسفر هذا الوفد إلى باريس من أجل حث قادة الدول الكبرى بضرورة استقلال ليبيا(56).

- محاولة الحكومة الإيطالية استرضاء أحمد الشريف:

كما أن الحكومة الإيطالية خلال هذه الفترة اتصلت بأحمد الشريف وهو مقيم في بروسه، وأوفدت إليه ضابطاً لمفاوضته واسترضائه ، وذلك مخافة من أن يؤلب أحمد الشريف العالم الإسلامي على إيطاليا وبعد أن التقى الرجلان سأل الضابط عليهم ، فلما سأله الضابط الإيطالي أحمد الشريف عن مطالبه ، فكان جوابه:" أننا لا نكره الصلح ، ولكن على شرط الاستقلال الحقيقي لوطننا ... إن طرابلس وبرقة ليستا ملكي لأجود بهما على الإيطاليين ، بل هما ملك أهلهما ... وإن لديه مجموعة من الكتب محفوظة في صناديق بواحة الجغبوب ، يريد من الإيطاليين أن يأتوه بها ، وإن لديه علاوة على ذلك إحدى الجواري أم أحد أبنائه يريد أن يأتوه بها كذلك " ، وانتهت بذلك المفاوضات . وقد حاول بشير السعداوي أن يقنع أحمد الشريف باستغلال الفرصة ، فكان جوابه : " أن هؤلاء لا يرجى أي خير منهم فالأحسن أن يأتوا لنا بالكتب لكي لا تضيع" (57).

محاولة تكوين الجبهة الإسلامية:

كما قام الخديوي عباس حلمي الثاني الذي فقد عرشه في بداية الحرب العالمية الأولى على يد القوات البريطانية بمحاولة أن ينشئ لنفسه ملكاً جديداً على أساس تكوين جبهة إسلامية عريضة تحت رئاسته وبتمويليه ، وتضم كل من: عبدالعزيز بن سعود أمير نجد وابن الرشيد أمير حائل ، وأحمد الجابر الصباح أمير الكويت ، والحسن الإدريسي أمير عسير وحميد الدين أمام اليمن وذلك بهدف تحرير العالم الإسلامي من الاستعمار الفرنسي الإنجليزي الإيطالي ،على أن يساعده أحمد الشريف بنفوذه الديني والأدبي مع الأمراء المسلمين على بلوغه مقصده(58).

اتصل الخديوي عباس حلمي الثاني؛ بأحمد الشريف محاولاً استمالته ، والحصول على موافقته ومؤازرته ؛ على هذا المشروع عن طريق أحد رجاله ويدعى الشيخ محمود شويل المصري ؛ الذي تحدث على لسان الخديوي ؛ عباس إلى أحمد الشريف حتى يجمع شتات الأمراء العرب بشبه الجزيرة العربية ؛ كي يتكتلوا ضد الاستعمار الأجنبي الأوروبي الذي طغى على البلاد العربية ، وطلب الخديوي من أحمد الشريف أن يقوم بالدعوة بين الأمراء العرب لهذه الغاية ، حتى إذا وافق هؤلاء على الوقوف في وجه الاستعمار تولى الخديوي الترتيبات اللازمة للعمل الذي تعهد بان ينفق عليه كل ما يلزم من مال لاستئصال الاستعمار من البلاد العربية(59).

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى (1914- 1918م) كانت شبه الجزيرة العربية والعراق وفلسطين تخضع للاستعمار الإنجليزي ، و سوريا ولبنان للاستعمار الفرنسي ، بينما كان الشريف حسين بن علي في الحجاز واقعاً هو الآخر تحت نفوذ الإنجليز ، فطلب الخديوي من أحمد الشريف وفي حال موافقته على الفكرة المعروضة أن يوفد من قبله مندوباً ليبحث مع الخديوي تفصيلات هذا المشروع الخطير ، وبعد اقتناعه بالفكرة انتدب أحمد الشريف لهذه المباحثات بشير السعداوي .

التقى بشير السعداوي الخديوي عباس في اسطنبول ، وأكد له الأخير الاستعداد التام لإنفاق مليون من الجنيهات الذهب لتحقيق هذا المشروع ، وأما ما يريده من أحمد الشريف فهو أن يكتب لأمراء شبه الجزيرة : ابن سعود أمير نجد ، وابن الرشيد أمير حائل ، وابن الصباح أمير الكويت ، وأمير المنتفق ، وأمير صبيا وأطرافها السيد الإدريسي ، والإمام يحي حميد الدين إمام اليمن ، وذلك حتى إذا نجحت الدعوة في استثارتهم ضد الاستعمار ؛ أمكن بواسطة الحلف الذي سوف ينشأ منهم تحرير العراق والشام ومصر وليبيا من الاحتلال الاستعماري(60).

وقد عاد بشير السعداوي لبروسه والتقى بأحمد الشريف ، وأبلغه بفحوى مباحثاته مع الخديوي عباس، وعلى أثر ذلك أبدى أحمد الشريف موافقته ، على هذا المشروع ، ثم بدأ في التحضير لمراسلة أمراء شبه الجزيرة ، وبعد الانتهاء من إعداد هذه الرسائل توجه بشير السعداوي إلى اسطنبول لعرضها على الخديوي عباس إلا أنه لم يستطع أن يطلعه عليها بعد أن أدرك أنه مراقب من قبل المخابرات التركية ، وعوضاً عن ذلك قام السعداوي بإخفاء تلك الرسائل في كتب فقه ودين أودعها صندوقاً تظاهر بعدم الاهتمام به وبلغ به الحرص درجة جعلته يحفظ عن ظهر قلب ما حوته تلك الرسائل التي كانت مرسلة إلى أمراء شبه الجزيرة إذ أنها كتبت بأسلوب واحد ، وذلك حتى يقرأها من الذاكرة على الخديوي عباس بدلاً من المجازفة بحملها إليه ، وقد أشار السعداوي على الخديوي أن يقوم البكباشي عزيز بك الكردي بحمل الرسائل إلى أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية ، إلا أن الأخير قد تعرض للملاحقة من القوات البريطانية التي كانت تحتل اسطنبول مع قوات الحلفاء، مما جعله يلجأ إلى السفارة الفرنسية ، واتصل بشير السعداوي بالخديوي عباس وأبلغه أن عزيز بك الكردي التجأ إلى الفرنسيين ، وعندئذ طلب الخديوي عباس من السعداوي أن يأتيه بالرسائل ليطلع عليها ، لكن السعداوي ذكر أنه كان يخشى من تعرضه للتفتيش في أي وقت خاصة وأنه يخضع للمراقبة ولذا قام بحفظ الرسائل غيباً ، ولعل هذا ما جعل الرجلان يعدان العدة لإرسال الكردي في مهمته المقررة ، إلا أنه حدث في اليوم التالي ما لم يكن متوقعاً إذ ذهب بشير السعداوي إلى قصر الخديوي عباس في حي البيك فوجده مغلقاً ، ويقف أمامه حرس من الأتراك فعاد السعداوي أدراجه إلى اسطنبول ، ثم ما لبث أن قرأ في صحف العاصمة أن الخديوي قد استأجر سفينة يونانية هرب على متنها من العاصمة العثمانية، وباختفاء الخديوي عباس تحطم مشروع حلف أمراء الجزيرة العربية للقضاء على الاستعمار في البلاد العربية .

خشى بشير السعداوي أن يكون المسؤولون قد اشتبهوا في أمره فظل هو الآخر مختفياً عن الأنظار أكثر من شهرين من الزمان ، ثم غادر

بعدها إلى بيروت حيث كان يتواجد أخوه نوري السعداوي ، وكل أفراد أسرته وكان ذلك في أوائل شهر يوليو 1920م(61).

المرحلة الثانية:

شهدت هذه المرحلة تبدلاً جوهرياً عقب خلع السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية، قام مصطفى كمال أتاتورك بإرسال مبعوثه عصمت باشا إلى بريطانيا سنة 1921م لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا ، فوضع وزير خارجية بريطانيا اللورد (كيرزون Kerzon) شروطه على هذا الاستقلال وهي: أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي ، وأن تلغى الخلافة الإسلامية وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة ، وأن تختار تركيا لها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية فوافق أتاتورك على ذلك وقام بإلغاء الخلافة الإسلامية(62) ، وإجراء تغيرات جوهرية في القوانين والأحكام الشرعية ، الأمر الذي زاد أحمد الشريف انزعاجاً كبيراً على مستقبل الإسلام والمؤسسات الإسلامية في تركيا الجديدة ، وعلق أحمد الشريف على ذلك قائلاً : "مازال أحمد الشريف" ، أي أن الدور سيأتي عليه هو الآخر.

ولم يسكت أحمد الشريف على هذه التطورات بل أنه خاطب صديقه أتاتورك قائلاً له :"لم نناصرك ونقف معك إلا لأجل حفظ كيان الدين الإسلامي ، وطلب إليه أن يعيد النظر عاجلاً في آرائه وإجراءاته التي أدت إلى هدم أهم وأخطر المؤسسات الإسلامية ، ألا وهي حل الخلافة الإسلامية كمؤسسة شرعية ونظام سياسي للحكم الإسلامي"(63).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو ما موقف أتاتورك من تصريحات أحمد الشريف؟ في الواقع أن ما أدلى به أحمد الشريف من تصريحات لم يرق لأتاتورك الذي عدّ ذلك تدخلاً في سياسته الداخلية ، وتبع ذلك بإجراءات تنكرية وتعسفية ضد أحمد الشريف ، فألغى الحرس الخاص به ، وشدد الرقابة عليه ، وأوقف المساعدات المالية التي كانت مخصصة له من الحكومة ، وانتهت بذلك العلاقة المضطربة بين أحمد الشريف وأتاتورك ، وغيره من الضباط الأتراك بتوجيه تهمة التخابر والاتصال ببعض أمراء آل عثمان، حيث تفيد أحدى الروايات بأن مصطفى كمال أتاتورك وحكومته أخذوا يكيدون لأحمد الشريف في الخفاء لإيجاد أمر يدان به(64) والتخلص منه الإشارة إليه بالخروج من تركيا التي وجوده فيها قد يغيظ إيطاليا ورأوا بالاختصار أنه لم يبق عوز إليه كالماضي عندما كان مصطفى يقول له إن تركيا كلها طوع إرادته وإنهم هم إنما ينوبون عنه في الحكم وأنه لوشاء يبايعونه بالخلافة . وبينما هم يفكرون في التخلص من أحمد الشريف إذ سنحت لهم هذه الفرصة بهفوة صغيرة جسموها عمداً وهي أنه قد جاءه في أحد الأيام شاب تركي من طلبة العلم كان تلقى الطريقة السنوسية وقال له إنه متوجه إلى بيروت لزيارة الأمير سليم كبير أولاد السلطان عبدالحميد المقيم في بيروت وإنه يلتمس منه خطاباً إلى الأمير سليم(65) ليعينه في مهمته وهي الوصول إلى مصر لطلب العلم بالجامع الأزهر ،وبالغ الطالب الذي يدعى ضياء الدين جودت في الترجي والاستعطاف والتردد حيث أخجل أحمد الشريف فكتب إليه: " أن حامل هذا الكتاب إليكم هو أحد طلبة العلم المحتاجين للمساعدة ويأمل أن تمدوا يد العون بقدر المستطاع إتمام مهمته"(66)، وقد ختم أحمد الشريف الخطاب بقوله (والله مع الصابرين) وهي آية كريمة توافق الحالة التي عليها الأمراء آل عثمان بعد سقوطهم هذا من أعلى الدرجات إلى الهاوية التي أصبحوا فيها الآن فذهب الشاب التركي بهذا الخطاب من مرسين قاصداً بيروت على الحدود ففي اجتيازه الحدود بين أضنه وحلب قبض عليه الجنود الأتراك الذين على الحدود وفتشوه فوجدوا ذلك الخطاب فقدموه إلى أنقرة فصدر الأمر من أنقرة بإرسال الرجل إليها حيث تم استجوابه ، فابلغهم بأن أحمد الشريف هو من كتب له هذا الخطاب وأنه قاصداً زيارة الأمير سليم فقاموا بإحالته إلى محكمة الاستقلال التي كانت تحكم بدون استناد على مواد قانونية وأخيراً قامت المحكمة بإصدار حكم بالإعدام على الرجل(67) وإذا بالكتاب يصل إلى مصطفى كمال الذي طلب من مجلسه الاجتماع وقرأ عليهم الرسالة ، فقالوا هذه خيانة عظمى للدولة(68) وأنه يتمنى عودة حكم آل عثمان ونشروا صورة أحمد الشريف في بعض جرائدهم واتهموه بالخيانة وبعد الحملة الإعلامية(69) وقرروا حالاً إبعاد أحمد الشريف عن تركيا في مدة لا تتجاوز العشرة أيام أو إلزامه بالإقامة الجبرية في قرية عثمانية تابعة لولاية أضنة ولما كانت عقوبة هذه التهمة هي الإعدام لذا فإن أحمد الشريف قد خير بين أحد أمرين، إما أن يغادر تركيا في بحر عشرة أيام أو أن تفرض عليه الإقامة الجبرية في إحدى القرى التركية(70) ، عند ذاك أدرك أحمد الشريف أنه لم يعد له مكان في دولة أتاتورك ، وأن طبيعة العلاقات التركية – البريطانية – الفرنسية الجديدة اقتضت إبعاده ، لا سيما أنه سعى لخلق جبهة إسلامية عريضة تضم الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق والمغرب بغية التصدي للنفوذ الاستعماري(71).

وعقب تسلمه لتعليمات أتاتورك بمغادرة تركيا علق قائلاً : " كنت أتوقع هذا منذ خلع السلطان العثماني ، لأن بقائي في تركيا لا يروق لمن يريد أن يتلاعب بأمر الشرع الشريف ويطمس معالم الدين الحنيف وأنني أختار الخروج من تركيا وهذا جزاء معاضدتي ومناصرتي لها وسوف تخسر تركيا ميزتها بين الشعوب العربية والإسلامية " (72).

يتضح لنا مما تقدم أن مصطفى كمال قام باستغلال أحمد الشريف ومكانته الدينية من أجل تحقيق أهدافه الرامية إلى تأسيس دولة تركية حديثة لا مكان للخلافة الإسلامية فيها ، ولم يكن أحمد الشريف على دراية بذلك وعندما تحقق لمصطفى كمال ما يريد عمل على إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا وطرد الشخصيات الدينية الهامة منها ، وكان على رأس هؤلاء أحمد الشريف لأن بقائه يهدد استمرارية هذه الدولة الحديثة .

مغادرة أحمد الشريف لتركيا:

آثر أحمد الشريف مغادرة تركيا بعد خلع السلطان العثماني وإلغاء الخلافة والتوجه إلى سوريا التي وصلها في 29 أكتوبر 1924م ومنها توجه إلى بيروت تم قام بزيارة القدس الشريف تم عاد إلى الشام والتي غادرها متوجهاً براً إلى مكة المكرمة(73) ، وبذلك انتهت إقامته في تركيا والتي دامت ست سنوات وشهرين(74) ، وبمغادرته تركيا تخلّص البريطانيون من أحد أبرز الشخصيات الداعية لمقاومة نفوذهم الاستعماري في المنطقة ، خصوصاً في العراق الذي كان مقر أحمد الشريف على مقربة من حدوده الشمالية(75).

لم يكن اهتمام بريطانيا بأحمد الشريف بدون مبرر ، فلقد اهتمت الحكومة البريطانية بنشاطاته ووضعت تحركاته تحت المراقبة خاصة بعد التصريح الذي أدلى به في 18 سبتمبر 1923م إلى مراسل وكالة أخبار (الاسوشيتد برس) بالشرق الأوسط حيث قال : " إن كفاحنا سوف ينتهي فقط عندما لا يبقى أجنبي واحد على تراب طرابلس الغرب (ليبيا) ، ونحن مصممون على القيام بما قام بعملة الأتراك . إن العالم الإسلامي سوف يحرر نفسه كلياً من الهيمنة الغربية ... إن العالم الإسلامي يؤيد الخليفة الجديد

عبد المجيد ، ويرفض مساعدة السلطان السابق محمد وحيد الدين ، كما يرفض ادعاءات الملك حسين الذي تورط في أعمال تسيء إلى فرد من عائلة النبي (صلى الله عليه وسلم) ... إن هذا التأييد سوف تشعر به بدون تأخير في كل مكان ، وأنني أعتقد بأن إلغاء سلطة الخليفة السياسية (الزمنية) قد ساهمت كثيراً في تعزيز وتقوية هيبته في أعين العالم الإسلامي ، إننا نمثل الأغلبية من المغرب وحتى الحجاز واليمن ولكنه عندما تتحرر من عبودية الغرب ... سوف نتعاون مع الغرب ولكن في مجال التقدم المادي فقط ، أو سوف نراعي ألا يؤثر ذلك في روحنا وثقافتنا الإسلامية "(76).

وقد أكد القنصل البريطاني في حلب في برقية موجزة بتاريخ 29 أكتوبر 1924م وصول أحمد الشريف السنوسي إلى دمشق ، وأضاف أن وجهته كما يعتقد هي مكة .

وفي العدد الصادر بتاريخ 30 أكتوبر والذي أرسل إلى وزارة الخارجية البريطانية من صحيفة الألف باء الدمشقية تحدثت عن قدومه ومما جاء فيه:" تسلم الأمير سعيد الجزائري برقية من أحمد الشريف تقول : وصلت بالأمس إلى حلب وسأصل غداً إلى دمشق حيث سأكون ضيفكم "(77).

وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل حياة المجاهد أحمد الشريف كانت تلك الفترة تتسم بالتوتر الشديد في المنطقة فقد كان ملكا الحجاز الشريف حسين وابن سعود يتقاتلان ، وسوريا في ثورة ضد الوصاية الفرنسية ، وفلسطين ومصر في حماس قومي شديد ، وكان المسلمون في الهند مهتمين بصفة خاصة بمصير الخلافة ،ويدفعون العالم الإسلامي إلى عقد اجتماع لذلك ، وإيطاليا لا تزال في قتال مع المجاهدين الليبيين . وكل تلك التطورات كانت تخضع لمتابعة دقيقة من قبل القوى الاستعمارية ، والتي كانت تخشى من انتشار شرارة واحدة قد تشعل المنطقة بأسرها من تحت أقدامهم(78).

النتائج :

أولاً: أخذ أحمد الشريف على عاتقه منذ توليه زعامة الحركة السنوسية مواصلة الجهاد ضد القوات الفرنسية في شمال تشاد حتى عام1911م العام الذي قامت فيه إيطاليا بغزو ليبيا حيث ترك الجميع الجهاد ضد القوات الفرنسية في شمال تشاد وتوجهوا إلى المناطق الساحلية لمواجهة الغازي الجديد . ومنذ اللحظة الأولى التي وقع فيها الغزو الإيطالي قام أحمد الشريف بدعوة المجاهدين وجميع مشائخ القبائل إلى ضرورة حمل السلاح في وجه العدو الإيطالي.

ثانياً: أسهم الموقف الدولي مع بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914م في وضع حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي لليبيا في موقف صعب للغاية، وما أن دخلت الدولة العثمانية معترك الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا ضد كل من انجلترا وفرنسا ، حتى بدأ الساسة العثمانيون يخططون للعودة إلى ليبيا مستغلين في ذلك مشاعر الرابطة الإسلامية ، مع عدم إغفال النية المبيتة لدى كل من الدولة العثمانية وألمانيا في اتخاذ ليبيا قاعدة متقدمة لتطويق القوات البريطانية في مصر، وفي هذا الصدد اختيرت منطقة امساعد منفذاً للعبور نحو مصر ، كما أن الدولة العثمانية وألمانيا قد بذلتا جهوداً كبيرة لأجل دفع قيادة حركة الجهاد الليبي للدخول في مهادنة مع القوات الإيطالية على الجبهة الشرقية ، وأكسب ذلك ود إيطاليا وجعلها تقف على الحياد في مجريات الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم جرّ أحمد الشريف إلى صف التحالف العثماني الألماني لمهاجمة الإنجليز في مصر.

ثالثاً: اشترك أحمد الشريف في الهجوم على القوات البريطانية في مصر على الرغم من أنه كان يعارض هذا الهجوم بشكل قاطع ، وقد دارت العديد من المعارك بين الطرفين، والتي كانت أغلب نتائجها لصالح القوات البريطانية حيث أخذت الهزائم تتلاحق بقوات المجاهدين

رابعاً: تركت مشاركة أحمد الشريف في هذه الحملة بعد فشلها آثاراً بالغة الخطورة على حركة الجهاد فقد توقف القتال ضد الإيطاليين فترة من الزمن ضاعت بذلك فرصة مواصلة القتال ضد الغزاة الإيطاليين وتحرير البلاد منهم خصوصاً وأنهم كانوا مشغولين بمعارك الحرب العالمية الأولى في أوروبا وقواتهم في ليبيا محاصرة في المدن الساحلية.

ويمكن القول أن حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز في مصر كانت كسباً ونفعاً كبيرين للإيطاليين؛ لأنها حطمت عزيمة المجاهدين في المقاومة، وزعزعت قيادة أحمد الشريف وأظهرت ضعف إمكانياتها الحربية وقدرتها القتالية، ومهدت السبيل بالتالي لظهور أنصار الصلح والتفاوض الذين قادهم محمد إدريس السنوسي على ذلك الدرب .

خامساً: بعد هزيمة قوات المجاهدين في مصر انسحب أحمد الشريف مع من تبقى معه إلى منطقة سلطان بخليج سرت ومنها إلى منطقة العقيلة ، والتي أصبح فيها محاصراً لا يملك سوي نسخة من المرسوم السلطاني القاضي بتعيينه حاكماً على ليبيا وأدرك أحمد الشريف بعد فوات الأوان ، أن ذلك المرسوم لن ينقذه وجيشه من الهلاك المحقق بعد أن أصبح محاصراً في منطقة سلطان شرق سرت .

وقد عبر أحمد الشريف خير تعبير عن هذا الموقف فيما بعد في خطاب بعث به إلى الشيخ عمر المختار واصفاً فيه الوضع الذي آلت إليه قواته بعد أن أصبح بين نارين على حد قوله ، ومما جاء في الخطاب: " ... والله ما سافرت إلا جبراً عليّ واضطراري فيما كنت فيه ، حيث كنت في العقيلة ما بين نارين نار رمضان السويحلي ، ونار إدريس السنوسي الذي اتفق مع الطليان والإنجليز ومنعوني من دخول المنطقة الشرقية ".

سادساً: بعد فشل المساعي الرامية لتسوية الخلافات بين رمضان السويحلي وأحمد الشريف وتوحيد الجبهة الوطنية تحت قيادة أحمد الشريف قرر الأخير إرسال قائده محمد صالح حرب إلى الأمير عثمان فؤاد في منطقة مصراتة ، وحمّله رسالة تتضمن طلباً بأن تقوم إحدى الغواصات الألمانية بنقله إلى اسطنبول ليقابل أنور باشا وزير الحربية ، وليبحث معه تطورات الموقف في ليبيا.

سابعاً: غادر أحمد الشريف إلى الدولة العثمانية في النصف الأول من شهر أغسطس سنة 1918م، وكان في مقدمة مستقبليه كبار رجال الحكومة العثمانية ، يتقدمهم صديقه أنور باشا وزير الحربية العثمانية ، كما حضره أيضاً إبراهيم بك ، وإحسان بك كاتب الديوان السلطاني، وفؤاد بك مدير التشريفات ، وعلي رضا شيخ الإسلام ، وأمين الفتوى ، وأنزل بسراي طوب قبو ، التي كانت مقر الخلفاء من آل عثمان ، وفي اليوم الثاني خصصت له مقابلة رسمية مع السلطان العثماني محمد وحيد الدين، الذي منحه وسام النيشان المجيدي من الرتبة الخامسة.

كما استقبله أتاتورك بعد انتقاله إلى أنقره في 5 أكتوبر 1920م في محطة السكة الحديد برفقة أعضاء مجلسه الثوري كافة وتحادث معه في أمور كثيرة تهم العالم الإسلامي ومستقبل الأمة الإسلامية.

ثامناً: مرت العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك في هذه الفترة بمرحلتين : الأولى: اتسمت بالمودة والصفاء . فعندما أعلن أتاتورك ثورته ضد السلطان العثماني كان مداوماً المراسلة مع أحمد الشريف الذي كان مقيماً في بروسه ، وكانت تلك الرسائل تدور حول استدرار عطف أحمد الشريف ، وطلب مناصرته له في ثورته ضد السلطان العثماني ، ففي سنة 1918م تمكن مصطفى كمال أتاتورك من تحقيق انتصارات مرموقة ضد الحلفاء والقوات اليونانية الغازية للدولة العثمانية . وبذلك أدرك أتاتورك أن حركته قد تركت أثراً لدى أحمد الشريف ، ومن ثم أراد استغلال هذا الشعور بهدف تحقيق أمرين اثنين هما:

الأول : إن تأييد أحمد الشريف كشخصية إسلامية لها شأنها سوف يعطي حركته وزناً ، ويضفي عليها شرعية بين شعوب الإمبراطورية الإسلامية .

الثاني : عزل أحمد الشريف عن دائرة نفوذ أنور باشا صهر السلطان العثماني وخصم أتاتورك التقليدي ، عندما كانا ضابطين يجاهدان مع أحمد الشريف في برقة.

تاسعاً: شهدت المرحلة الثانية تبدلاً جوهرياً عقب خلع السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية، فقد قام مصطفى كمال أتاتورك بإرسال مبعوثه عصمت باشا إلى بريطانيا سنة 1921م لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا ، فوضع وزير خارجية بريطانيا اللورد (كيرزون Kerzon) شروطه على هذا الاستقلال وهي: أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي ، وأن تلغى الخلافة الإسلامية وأن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة ، وأن تختار تركيا لها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية فوافق أتاتورك على وقام بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإجراء تغيرات جوهرية في القوانين والأحكام الشرعية ، الأمر الذي زاد أحمد الشريف انزعاجاً كبيراً على مستقبل الإسلام والمؤسسات الإسلامية في تركيا الجديدة ، وعلق أحمد الشريف على ذلك قائلاً : "مازال أحمد الشريف"، أي أن الدور سيأتي عليه هو الآخر، وبذلك آثر أحمد الشريف مغادرة تركيا بعد خلع السلطان العثماني وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وبذلك انتهت إقامته في تركيا والتي دامت ست سنوات وشهرين، وبمغادرته تركيا تخلّص البريطانيون من أحد أبرز الشخصيات الداعية لمقاومة نفوذهم الاستعماري في المنطقة ، خصوصاً في العراق الذي كان مقر أحمد الشريف على مقربة من حدوده الشمالية . وبدأت بذلك مرحلة جديدة من مراحل حياة المجاهد أحمد الشريف.

هوامش البحث:

(1) محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، مركز الدراسات الليبية ، أكسفورد – بريطانيا ، ط2 ، 2005م ، ص 156 .

(2) مصطفى سعد الهاين ، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1980م ، ص 24 .

(3) مقالة منشورة على شبكة الانترنيت الموقع : www. Libya . Nfsl . . Org

(4) محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، عفيف البعلبك ، ط5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1977م ، ص 331

(5) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص158 .

(6) انظر كلا من : عبد الله علي إبراهيم ، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد ، ضمن كتاب بحوث ودراسات من التاريخ الليبي ، طرابلس ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، 1988م ، ص108 ، ومحمد عبد الرزاق مناع ، جذور النضال العربي في ليبيا ، بنغازي ، 1972م ، ص47 .

(7) عبد الله علي إبراهيم ، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد ، ضمن كتاب بحوث ودراسات من التاريخ الليبي ، طرابلس ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، 1988م ،ص 108 .

(8) أحمد عطية مدلل ، " دراسة وثائقية في تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد في الجزء الشرقي من ليبيا نوفمبر ، ديسمبر 1914م " ، مجلة الشهيد ، العدد السابع والثامن ، طرابلس ، ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ضد الغزو الإيطالي ، أكتوبر 1986 – 1987م ، ص 53 .

(9) مفتاح بلعيد غويطة ، الموقف الشعبي المصري من حركة الجهاد في ليبيا 1911 - 1931م ، طارابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2003م ، ص 273

(10) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص256 .

(11) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص256 .

(12) مصطفى علي هويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى ، المرجع السابق ، ص78

(13) مصطفى علي هويدي ، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تارخ الجهاد الليبي ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1988م ، ص195 .

(14) مصطفى علي هويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق ، ص 97 .

(15) المرجع نفسه ، ص 100 .

(16) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص 272 .

(17) - محمد أحمد الطوير ورفعت عبد العزيز سيد ، تاريخ الجهاد في ليبيا ضد الغزو الإيطالي 1911-1931م ، القاهرة ، مركز الحضارة العربية 1988م ، ص130

(18) عبد المولي صالح الحرير ، " العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كما أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي " ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الرابع ، 1983م ، ص185 .

(19) هذا الخطاب مرسل من أحمد الشريف السنوسي بالمدينة المنورة رداً على الخطاب الذي أرسله إليه الشيخ عمر المختار بالجبل الأخضر بتاريخ 20 مايو 1924م . وكان شديد اللهجة ويلومه فيه على سفره إلى تركيا ، كما يلوم فيه محمد إدريس، السنوسي على هروبه إلى مصر ، وترك المجاهدين في هذه الحالة الصعبة . للإطلاع على نص هذا الخطاب كاملاً انظر : إدريس صالح الحرير ، مواقف خالدة لعمر المختار ، ضمن كتاب عمر المختار نشأته وجهاده 1863 – 1931م ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1989م ، المرجع السابق ، ص68 .

(20) قام إدريس السنوسي بتوقيع العديد من الاتفاقيات مع الحكومتين البريطانية والإيطالية كان أهمها : اتفاقية الزويتينة عام 1916م واتفاقية عكرمة عام 1917م واتفاقية الرجمة عام 1920م واتفاقية بومريم عام 1921م وجميع هذه الاتفاقيات هدفت إلى إنهاء حركة الجهاد في ليبيا والاعتراف بالاحتلال الإيطالي لليبيا في مقابل الاعتراف به أميرا على برقة وتوقف حركة الجهاد بسببها في المنطقة الشرقية حتى عام 1923م .للمزيد انظر أمين سعيد ، الدولة العربية المتحدة ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، 1938م ، ص 304 – 309

(21) مصطفى سعد الهاين ، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي ، المرجع السابق ، ص 52 .

(22) مصطفى علي هويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق ، ص 162 .

1. (23) مصطفى علي هويدي ، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا " ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، العدد التاسع ، 1984م ، ص126 .

(24) المرجع نفسه ، ص 274 .

(25) محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص182 .

(26) مصطفى علي هويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى خلال الحرب العالمية الأولى، المرجع السابق ، ص 163 – 164 .

(27) مصطفى علي هويدي ، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا " المرجع السابق ، ص128 .

(28) المرجع نفسه ، 128 .

(29) المرجع نفسه ، ص 128 .

(30) عثمان فؤاد : وصل الأمير عثمان إلى ميناء قصر أحمد بمصراتة ، حيث أنزلته غواصة تركية هناك في 4 مارس 1918م ، وهو معين كقائد عام للقوات الأفريقية بشمال أفريقيا خلفاً للفريق نوري باشا الذي سافر بناءً على استدعاء من أخيه أنور باشا ليتولى قيادة الجيش التركي بالقفقاس ، وتعيين الأمير عثمان قصد به ربط واستمرارية تبعية ليبيا للحكم العثماني ، وهو ضعيف الشخصية ، ولم يكن في مستوى نوري باشا ، وتأثيره كان محدوداً خاصةً على كبار الضباط . للمزيد راجع : مختار الهادي بن يونس ، القضاء العرفي خلال فترة الجهاد الليبي من(1916 – 1919م) ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، العدد الخامس ، 1984م ، ص33 - 38 .

(31) مصطفى علي هويدي ، " رحيل أحمد الشريف إلى تركيا " المرجع السابق ، ص130 .

(32) المرجع نفسه ، ص130 .

(33) يوسف بن شتوان : ينحدر من أسرة معروفة في بنغازي، وكان يشغل في ذلك الوقت منصب رئيس (محكمة الادعاء العسكري) في الإمبراطورية العثمانية ، للمزيد راجع :عبد المولى صالح الحرير ، " منظمة تشكيلات مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني (1911 – 1918م) " ، مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الأول ، السنة الأولى ، 1979م ، ص41 - 42 ..

(34) مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، ترجمة : عبدالمولى صالح الحرير ، طرابلس ، منشورات مركز درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، 1979م ، ص 19- 50 .

(35) قاسم الجميلي ، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، طرابلس ، منشورات مركز درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، 2003م ، ص120.

2. (36) مصطفى علي هويدي ، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى ، المرجع السابق ، ص173 .
3. (37) المرجع نفسه ، ص175 .
4. (38) محمد عيسى صالحية ، المرجع السابق ، ص9 .

(39) للمزيد راجع كلا من : مقالة بعنوان : " مصطفى كمال أتاتورك " منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت الموقع : ar . wikipedia org . ، ص 1 – 3 ، وجورج ريمون ، المصدر السابق ، ص330.

5. (40) كان من نتائج الحرب العالمية الأولى توقيع الدولة العثمانية معاهدات صلح مع الحلفاء ، ومن هذه المعاهدات معاهدة موندروس 1918م، التي نصت على قطع صلة الدولة العثمانية بأية ادعاءات قد تكون بقيت لها في ليبيا ، وأن يقوم جميع الضباط العثمانيين سواءً في طرابلس أو برقة بتسليم أنفسهم إلى أقرب المراكز الإيطالية ، وأن تتعهد الدولة العثمانية و بعدم إرسال أية معونات للمجاهدين في ليبيا ، وأن تتعهد الدولة العثمانية أيضاً بإصدار أوامر لضباطها بتسليم جميع المواقع والموانئ الليبية للقوات الإيطالية ، وأن الدولة العثمانية بموجب الصلح المبرم في فرساي 28 يوليو 1919م ، والمعاهدة المبرمة في سيفر أغسطس 1920م ، أصبحت ملزمة بالتنازل نهائياً بمقتضى المادة 121 عن حقوق وامتيازات كان السلطان العثماني قد احتفظ بها لنفسه في ليبيا في معاهدة أوشي لوزان 1912م ، ونتيجةً لعدم تنفيذ القرار حسب اتفاقية سيفر . فقد أبرمت معاهدة مودانيا بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا ، وتنازلت الدولة العثمانية بموجب المادة (81) من المعاهدة عن حقوقها في قبرص ومراكش وتونس وليبيا . للمزيد راجع : محمد علي أبو شارب ، المرجع السابق ، ص57 .
6. (41) محمد عيسى صالحية ، المرجع السابق ، ص9 .

(42) قاسم الجميلي ، المرجع السابق ، ص 121 .

7. (43) عبد المولى صالح الحرير ، " العلاقات بين أحمد الشريف ، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد " ، المرجع السابق ، ص188 .

(44) قاسم الجميلي ، المرجع السابق ، ص122 .

8. (45) عبد المولى صالح الحرير ، " العلاقات بين أحمد الشريف ، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد " ، المرجع السابق ، ص188 .
9. (46) عبد المولى صالح الحرير، المرجع نفسه ،ص188.

(47) المرجع نفسه ، ص189 .

(48) المرجع نفسه ، ص 189 .

(49) السنوسي بلاله ، السيد أحمد الشريف ، " تجربة نضالية ... ودروس مستفادة " ، بحث مقدم إلى إدارة مركز دراسات الليبيين في جامعة أكسفورد ببريطانيا ، بمناسبة الذكرى السبعين لوفاة أحمد الشريف ، يوليو ،

2003م ، ص 15 . مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الأنترنت الموقع : www.libsc.org /st /p0017.HTM

(50) عبد المولى صالح الحرير ، " العلاقات بين أحمد الشريف ، ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد " ، المرجع السابق ، ص190 .

(51) المرجع نفسه ، ص 190 .

(52) المرجع نفسه ، ص 190 .

(53) المرجع نفسه ، ص 190 .

(54) المرجع نفسه ، ص 191 .

(55) المرجع نفسه ، ص191 .

(56) بشير السعداوي: ولد في مدينة سنة 1884م ويرجع أصله إلى مدينة مصراتة ، ونشأ السعداوي في بيت اشتهر بالعلم والمعرفة وقد درس الفقه المالكي ، وعلمي التوحيد والتجويد وعلوم اللغة العربية للمزيد أنظر: ربيعة خلف الله ، بشر السعداوي حياته ونضاله السياسي 1884 – 1957 ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة سبها ، 2016م .

(57) محمد فؤاد شكري ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، 1957م ، ص515 .

(58) المصدر نفسه ، ص516 .

(59) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(60) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(61) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(62) المصدر نفسه ، ص517 .

(63) للمزيد راجع : مقالة بعنوان : " مصطفى كمال أتاتورك " منشورة على شبكة المعلومات الدولية الانترنت ، المرجع السابق ، ص 1 - 3 .

10. (64) انظر كلاً من : عبدالمولى صالح الحرير ، " العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد " ، المرجع السابق ، ص192 ، وقاسم الجميلي ، المرجع السابق ، ص128 .

(65) للمزيد انظر :محمد علي الصلابي ، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الأفريقي ، الحركة السنوسية في ليبيا وسيرة الزعيمين محمد المهدي ، وأحمد الشريف ، دار البيارق ، عمان ، ج2 ، 1999م ، ص 122 .

(66) الأمير شكيب ارسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،المجلد 2 ، بيروت ، دار الفكر ، 1973م ،ص 374 .

(67) محمد علي الصلابي ،المرجع السابق، ص 122 .

(68) الأمير شكيب ارسلان، المرجع السابق ، ص 375 .

(69) محمد علي الصلابي ،المرجع السابق، ص 122 .

(70) الأمير شكيب ارسلان، المرجع السابق ، ص 375

(71) قاسم الجميلي ، المرجع السابق ، ص128 .

(72) عبدالمولى صالح الحرير ، " العلاقات بين أحمد الشريف ومصطفى كمال أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد"، المرجع السابق ، ص192 .

(73) المرجع نفسه ، ص192 .

(74) السنوسي بلاله ، المرجع السابق ، ص4 .

(75) أورخان كولوغلو ، المرجع السابق ، ص71 .

(76) قاسم الجميلي ، المرجع السابق ، ص128 .

(77) اورخان كولوغلو ،المرجع السابق ، ص72 .

(78) اورخان كولوغلو المرجع السابق ، ص 73 .

(79) المرجع نفسه، ص72 .

قائمة المصادروالمراجع:

1- **إبراهيم** عبد الله علي ، آثار صلح لوزان على حركة الجهاد ، ضمن كتاب بحوث ودراسات من التاريخ الليبي ، طرابلس ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، 1988م .

2- **ارسلان** الأمير شكيب ، حاضر العالم الإسلامي ،المجلد 2 ، بيروت ، دار الفكر ، 1973م .

3- **بلاله** السنوسي ، السيد أحمد الشريف ، " تجربة نضالية ... ودروس مستفادة " ، بحث مقدم إلى إدارة مركز دراسات الليبيين في جامعة أكسفورد ببريطانيا ، بمناسبة الذكرى السبعين لوفاة أحمد الشريف ، يوليو ، 2003م . مقالة منشورة على شبكة المعلومات الدولية الأنترنت الموقع : www.libsc.org /st /p0017.HTM

4- **بن يونس** مختار الهادي ، القضاء العرفي خلال فترة الجهاد الليبي من(1916 – 1919م) ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، العدد الخامس ، 1984م ، ص33 - 38 .

5- **الجميلي** قاسم ، صفحات من تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر ، طرابلس ، منشورات مركز درلسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، 2003م .

6- . جورج ريمون ، المصدر السابق .مدلل

7- **الحرير** عبد المولي صالح ، " العلاقات بين السيد أحمد الشريف ومصطفى كما أتاتورك وأثرها على حركة الجهاد الليبي " ، مجلة الشهيد ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الرابع ، 1983م .

8- **الحرير** عبد المولى صالح ، " منظمة تشكيلات مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني (1911 – 1918م) " ، مجلة البحوث التاريخية ، طرابلس ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، العدد الأول ، السنة الأولى ، 1979م .

9- **الحِرير** إدريس صالح ، مواقف خالدة لعمر المختار ، ضمن كتاب عمر المختار نشأته وجهاده 1863 – 1931م ، طرابلس ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1989م ، المرجع السابق .

10- **خلف الله** ربيعة ، بشر السعداوي حياته ونضاله السياسي 1884 – 1957 ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة سبها ، 2016م .

11- **الدين** محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، عفيف البعلبك ، ط5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1977م .

12- سعيد أمين ، الدولة العربية المتحدة ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، 1938م .

13- **شـكري** محمد فؤاد ، السـنوسـية دين ودولة ، مركز الدراسـات الليبية ، أكسفورد – بريطانيا ، ط2 ، 2005م .

14- **شـكري** محمد فؤاد ، ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، القاهرة ، مطبعة الاعتماد ، 1957م .

15- **الصلابي** محمد علي ، صـفحات من التاريخ الإسـلامي في الشـمال الأفريقي ، الحركة السـنوسـية في ليبيا وسـيرة الزعيمين محمد المهدي ، وأحمد الشريف ، دار البيارق ، عمان ، ج2 ، 1999م .

16- **صـالحية** محمد عيسى ، صـفحات من الوثائق السـرية الليبية ، رسائل أحـمد الشـريف (1875- 1933م) ، مقالة منشورة عـلـي الإنـتـرنـت المـوقـع: WWW.meditrraneancentre.net \ bayannat 2.htm

17- **الطوير** محمد أحمد ورفعت عبد العزيز سـيد ، تاريخ الجهاد في ليبيـا ضـد الغزو الإيطـالي 1911-1931م ، القـاهرة ، مركز الحضارة العربية 1988م .

18- **عبد الرزاق** مناع محمد ، جذور النضـال العربي في ليبيا ، بنغازي ، 1972م .

19- **غويطة** مفتاح بلعيد ، الموقف الشـعبي المصـري من حركة الجهاد في ليبيـا 1911 - 1931م ، طـارابلس ، منشـورات مركز جهـاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2003م .

20- **مقالة** منشـورة على شـبكة المعلومات الدولية الانترنت " مصـطفى كمال أتاتورك " الموقع : ar . wikipedia . org .

21- **مدلل** أحمد عطية ، " دراسـة وثائقية في تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركـة الجهـاد في الجزء الشـرقي من ليبيـا نوفمبر ، ديسـمبر 1914م " ، مجلة الشـهيد ، العدد السـابع والثامن ، طرابلس ، منشـورات مركز دراسـة جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية ضد الغزو الإيطالي ، أكتوبر 1986 – 1987م.

22- **مذكرات** أنور باشـا في طرابلس الغرب ، ترجمة : عبدالمولى صـالح الحرير ، طرابلس ، منشـورات مركز دراسـة جهاد الليبيين ضـد الغزو الإيطالي ، 1979م .

23- **الهاين** مصـطفى سـعد ، أثر العامل الديني في الجهاد الليبي ، منشـورات مركز دراسـة جهاد الليبيين ضـد الغزو الإيطالي ، طرابلس ، 1980م .

24- **هويدي** مصـطفى علي ، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة الجهاد الليبي ، ضمن كتاب بحوث ودراسات في تارخ الجهاد الليبي ، طرابلس ، منشـورات مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية ، 1988م.

25- **هويدي** مصـطفى علي ، الحركة الوطنيـة في شـرق ليبيـا خلال الحرب العـالميـة الأولى خلال الحرب العـالميـة الأولى، طرابلس، منشورات مركز الجهاد، 1988م .

26- **هويدي** مصـطفى علي ، " رحيل أحمد الشـريف إلى تركيا " ، مجلة الشـهيد ، طرابلس ، منشـورات مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية ، العدد التاسع ، 1984م .